ومعنى ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ أي: مُطْبَقة مُغْلَقَة، قال:

تَـحِـنُّ إلـى أجـبـالِ مـكـةَ نـاقـتـي ومِن دُونِها أبوابُ صنعاءَ مُؤْصَدَهْ[١]

وقيل: مُبْهمة، لا يُدْرَى ما داخِلُها. وأهلُ اللُّغةِ يقولون: أَوْصَدْتُ البابَ وآصَدْتُهُ، أي: أغلقتُه. فَمَن قال: أَوْصَدْتُ، فالاسمُ الوِصَاد، ومَن قال: آصَدْتُه، فالاسمُ الإصاد.

وقرأ أبو عمرو وحفصٌ وحمزةُ ويعقوبُ، والشَّيزَريُّ عن الكسائيِّ: «مُؤْصَدَة» بالهَمْزِ هنا وفي «الهُمَزة»[٢]. الباقون بلا هَمْزٍ. وهما لُغتان. وعن أبي بكر بن عياش قال: لنا إمامٌ يهمزُ «مُؤصَدَة»، فأشْتَهي أنْ أَسُدَّ أذنيَّ إذا سمعتُه[٣].

سورة «الشمس»

وهي مكِّيةٌ باتِّفاقٍ، وهي خَمْسَ عَشْرةَ آيةً

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١﴾

قال مجاهد: ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ أي: ضوئِها وإشْراقِها. وهو قَسَمٌ ثانٍ. وأضاف الضُّحَى إلى الشمس؛ لأنه إنَّما يكون بارتفاعِ الشمس. وقال قتادةُ: نَهارها[٤]. السُّدِّيُّ:

(١) إصلاح المنطق ص١٨٠ ، وأنشده ابن عباس لنافع بن الأزرق، كما في الدر المنثور ٦/ ٣٥٥ عن الطستي.

(٢) السبعة ص٦٨٦ ، والتيسير ص٢٢٣ ، والنشر ١/ ٣٩٥ عن أبي عمرو وحفص وحمزة ويعقوب وخلف. والمشهور عن الكسائي: «موصدة» بغير همز.

(٣) الكشاف ٤/ ٢٥٧ . قال السمين في الدر المصون ١١/ ١٢ : وكأنه لم يحفظ عن شيخه إلا تركَ الهمز، مع حِفْظِ حفص إياه (يعني الهمز) عنه.

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٤ ، ووقع في (م): بهاؤها.

حرّها[١]. وروى الضحاك عن ابن عباس: «وضحاها»، قال: جَعَلَ فيها الضوءَ وجَعَلَها حارَّة[٢].

وقال اليزيديُّ: هو انبساطُها. وقيل: ما ظَهَر بها من كلِّ مخلوقٍ، فيكون القَسَمُ بها وبمخلوقاتِ الأرض كلِّها. حكاه الماوردِيّ[٣].

والضُّحَى: مؤنثةٌ. يقال: ارتفعت الضُّحى فوق الصُّخور. وقد تُذَكَّر. فَمَن أنَّث ذهب إلى أنها جمعُ ضَحْوَةٍ. ومَن ذكَّر ذهب إلى أنه اسمٌ على فُعَل، نحو صُرَدٍ ونُغَرٍ. وهو ظرفٌ غيرُ متمكِّنٍ مثل سَحَر. تقول: لَقِيتُه ضحًى وضُحَى؛ إذا أردتَ به ضُحا يومِك لم تنوِّنه[٤]. وقال الفرَّاء[٥]: الضُّحى هو النهار، كقول قتادة[٦]. والمعروفُ عند العرب: أنَّ الضُّحى إذا طلعت الشمسُ وبُعَيد ذلك قليلاً، فإذا زاد فهو الضَّحَاء بالمدِّ. ومَن قال: الضُّحى: النهارُ كلُّه، فذلك لدوامِ نورِ الشمس. ومَن قال: إنه نورُ الشمسِ أو حرُّها، فنورُ الشمسِ لا يكون إلَّا مع حرِّ الشمس. وقد استدلَّ مَن قال: إنَّ الضحى حرُّ الشمس بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٩] أي: لا يؤذيك الحرّ.

وقال المبرِّد: أصلُ الضُّحَى من الضّحِّ، وهو نورُ الشمسِ، والألفُ مقلوبةٌ من الحاءِ الثانية. تقول: ضَحوَة وضَحَوات[٧] وضُحًى، فالواوُ من ضَحْوَة مقلوبةٌ عن

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨١ .

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج الحاكم ٢/ ٥٢٤ من طريق مجاهد عن ابن عباس: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ قال: ضوءها.

(٣) في النكت والعيون ٦/ ٢٨١ .

(٤) الصحاح (ضحا)، وينظر ما سلف عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، وتفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩].

(٥) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٤ ، وسلف قريباً.

(٧) بعدها في (م) و(ي): وضحوات. وكل اسم واحدة فَعْلة فإنَّ جمعه على فَعَلات بفتح العين، فإن كان نعتاً فإنك تدع ثانيه ساكناً، مثل: ضَخْمَة، تجمعها: ضَخْمات، وربما سكنت العين في الأسماء، كما قال الشاعر: فتستريح النفس من زَفْراتها. ينظر تفسير الطبري ٣/ ٣٢ .

الحاء الثانية[١]، والألفُ في ضُحا مقلوبةٌ عن الواو.

وقال أبو الهيثم: الضِّح: نقيض الظِّلّ، وهو نورُ الشمسِ على وجه الأرض، وأصلُه: الضِّحْيُ، فاستَثْقَلوا الياءَ مع سكونِ الحاءِ، فقَلَبوها ألفاً[٢].

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾

أي: تَبِعَها، وذلك إذا سقطت رُئي الهلال. يقال: تَلَوْتُ فلاناً: إذا تَبِعته. قال قتادة: إنَّما ذلك ليلةَ الهلال، إذا سَقَطت الشمس رُئي الهلال[٣].

وقال ابن زيد: إذا غَرَبت الشمسُ في النصف الأول من الشهر، تلاها القمرُ بالطُّلوع، وفي آخِرِ الشهرِ يتلُوها بالغروب[٤].

الفرَّاء: «تلاها»: أخذ منها. يذهبُ إلى أنَّ القمر يأخذُ من ضوء الشمس[٥]. وقال قومٌ: «والقمرِ إذا تَلَاها» حين استوى واستدار، فكان مِثلَها في الضياء والنور؛ وقاله الزجَّاج[٦].

قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾

أي: كَشَفَها. فقال قومٌ: جلَّى الظُّلْمةَ، وإنْ لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ، كما تقول: أَضْحَتْ باردةً، تريد: أَضْحَتْ غَداتُنا باردةً. وهذا قولُ الفرّاءِ[٧] والكلبيِّ وغيرِهما. وقال قومٌ:

---

(١) قال أبو حيان في البحر ٨/ ٤٧٨ لعله مختلَقٌ عليه؛ لأن المبرد أجلُّ من أن يذهب إلى هذا، وهاتان مادتان مختلفتان لا تشتقُّ إحداهما من الأخرى.

(٢) كذا في النسخ، ومثله في تفسير الرازي ٣١/ ١٩٠ ، والذي في تهذيب اللغة ٣/ ٣٩٨ عن أبي الهيثم: ... فاستثقلوا الياء مع سكون الحاء فثقلوها؛ قالوا: ضِحّ. ومثلُه العبدُ القِنُّ، وأصله: قِنْي من القِنْية.

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٣٦ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨٢ بلفظ: في النصف الأول يتلوها، وتكون أمامه وهو وراءها، وإذا كان في النصف الأخير كان هو أمامها وهي وراءه، ونحوه في تفسير الطبري ٢٤/ ٤٣٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٥ ، وقول الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

(٦) في معاني القرآن ٥/ ٣٣١ .

(٧) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦ .

الضمير في «جَلاَّها» للشمس، والمعنى: أنه يُبينُ بضوئه جرمَها. ومنه قولُ قيس بنِ الخَطِيم:

تَجَلَّت لنا كالشَمسِ تحتَ غَمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضَنَّت بحاجِبِ[(١)]

وقيل: جَلَّى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر؛ لاستتاره ليلاً وانتشاره نهاراً[(٢)]. وقيل: جَلَّى الدنيا. وقيل: جَلَّى الأرض، وإنْ لم يَجْرِ لها[(٣)] ذِكْرٌ، ومثلُه قولُه تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص:٣٢] على ما تقدَّم آنفاً.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾

أي: يغشَى الشمس، فيَذهَبُ بَضوْئها عند سقوطها؛ قاله مجاهدٌ وغيره. وقيل: يغشى الدنيا بالظُّلَم، فتُظلم الآفاق. فالكنايةُ تَرْجعُ إلى غيرِ مذكور.

قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾

أي: وبنيانها. فـ«ما» مَصْدَريةٌ، كما قال: ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي﴾ [يس:٢٧] أي: بغفران ربِّي؛ قاله قتادة، واختاره المبرِّد.

وقيل: المعنى: ومَن بناها؛ قاله الحسن ومجاهد[(٤)]؛ وهو اختيارُ الطَّبَرِيِّ[(٥)]. أي: ومَن خَلَقَها ورَفَعَها، وهو الله تعالى. وحُكِي عن أهل الحجاز: سُبحان ما سَبَّحت له، أي: سبحان مَنْ سَبَّحت له[(٦)].

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٢٢٨ ، وجمهرة أشعار العرب ٢/١٤٦ ، وديوان المعاني ١/٢٢٩ ، والحماسة البصرية ٢/٨٥ ، واللسان (حجب). وورد البيت في ديوان مجنون ليلى ص٧٥ . قال صاحب اللسان: حاجب الشمس: ناحيةٌ منها.

(٢) النكت والعيون ٦/٢٨٢ .

(٣) في (د) و (ز) و(ي): لهما.

(٤) النكت والعيون ٦/٢٨٢ ، وزاد المسير ٩/١٣٩ .

(٥) في تفسيره ٢٤/٤٣٧ ، قال: وبناؤه إياها تصييره إياها للأرض سقفاً.

(٦) ينظر ما سلف ٦/٢٦ ، وما سيأتي ص٣٢٠ من هذا الجزء.

قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾

أي: وطَحْوِها. وقيل: ومَن طحاها؛ على ما ذكرناه آنفاً. أي: بَسَطَها؛ كذا قال عامَّةُ المفسِّرين، مثل دحاها. قال الحسن ومجاهد وغيرهما: طحاها ودحاها واحدٌ[1]، أي: بَسَطَها من كل جانب. والطَّحْو: البَسْطُ؛ طَحَا يطحُو طحْواً، وطَحَى يَطحَى طَحْياً. وطَحَيْتُ: اضطجعتُ؛ عن أبي عمرو[2].

وعن ابن عباس: طحاها: قَسَمها[3]. وقيل: خَلَقها؛ قال الشاعر:

وما تَدْري جذيمة مَن طَحَاها ولا مَن ساكِنُ العَرْشِ الرَّفيعِ[4]

الماوَرْديُّ[5]: ويحتمل أنه ما خرج منها من نباتٍ وعيونٍ وكنوز؛ لأنه حياةٌ لِمَا خُلِق عليها.

ويقال في بعض أيمان العرب: لا، والقمرِ الطَّاحِي، أي: المُشرِف المُشْرِق المرتفع[6]. قال أبو عمرو: طحا الرجل: إذا ذهب في الأرض. يقال: ما أدري أين طَحَا! ويقال: طحا به قلبُه: إذا ذهب به في كلِّ شيء؛ قال علقمة:

طَحَا بكَ قَلْبٌ في الحِسَانِ طَروبُ بُعيْدَ الشَّبابِ عَصْرَ حانَ مَشيبُ[7]

قوله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾

قيل: المعنى: وتَسْوِيَتِها. «فما»: بمعنى المصدر. وقيل: المعنى: ومَن سَوَّاها، وهو اللهُ عزَّ وجلَّ.

---

(١) أخرجه عن مجاهد الطبري ٢٤/ ٤٣٩ بنحوه.

(٢) ذكره عنه الجوهري في الصحاح (طحا).

(٣) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤٠ .

(٤) النكت والعيون ٦/ ٢٨٣ .

(٥) في النكت والعيون ٦/ ٢٨٣ .

(٦) تهذيب اللغة ٥/ ١٨٤ .

(٧) ديوان علقمة الفحل ص٣٣ ، والصحاح (طحا) والكلام منه. قال الأعلم شارح الديوان: قوله: طحا بك قلب، أي: اتَّسع بك في حب الحِسان، وذَهب بك كلَّ مذهب.

وفي النفس قولان: أحدهما آدمُ. الثاني: كلُّ نفسٍ منفوسة. وسوَّى: بمعنى هيَّأ. وقال مجاهد: سوَّاها: سَوَّى خَلْقَها وعَدَّل[١].

وهذه الأسماءُ كلُّها مجرورةٌ على القَسَم؛ أَقسمَ جلَّ ثناؤه بخَلْقِه لِمَا فيه من عجائب الصَّنْعةِ الدالَّةِ عليه.

قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾

قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ أي: عَرَّفها؛ كذا رَوَى ابنُ أبي نَجِيح عن مجاهد[٢]. أي: عرَّفها طريقَ الفجورِ والتقوى؛ وقاله ابن عباس[٣]. وعن مجاهدٍ أيضاً: عَرَّفها الطاعةَ والمعصية.

وعن محمد بن كعب قال: إذا أراد الله عزَّ وجلَّ بعَبْدِهِ خيراً، أَلْهمَه الخيرَ فَعَمِل به، وإذا أراد به السوءَ، أَلْهمَه الشرَّ فعمِل به.

وقال الفرَّاء[٤]: «فألهمها»، قال: عَرَّفها طريقَ الخيرِ وطريقَ الشرِّ، كما قال: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠].

وروى الضحَّاكُ عن ابن عباس قال: أَلْهَمَ المؤمنَ المتَّقيَ تقواه، وأَلْهَمَ الفاجرَ فُجورَه[٥].

وعن سعيد عن قتادة قال: بَيَّن لها فُجورَها وتقواها[٦]. والمعنى متقارب.

ورُوِي عن أبي هريرةَ قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ فقال:

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/ ٢٨٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤١.

(٣) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٠-٤٤١، والوسيط ٤/ ٤٩٥، وتفسير البغوي ٤/ ٤٩٢ ولفظه: علَّمها الطاعة والمعصية، وفي رواية: بيَّن لها طريق الخير والشر. وفي رواية: عرَّفها ما تأتي وما تتقي.

(٤) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٦.

(٥) ذكره الرازي ٣١/ ١٩٣ دون نسبة.

(٦) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤١.

«اللهمَّ آتِ نفسي تَقْواها، وزكِّها أنت خيرُ مَن زكَّاها، أنت وَليُّها ومَولاها»[١].

ورواه جُوَيبر عن الضحاك عن ابن عباس: أنَّ النبيَّ ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ رفع صوته بها، وقال: «اللهمَّ آتِ نفسي تقواها، أنت وليُّها ومولاها، وأنت خيرُ مَن زَكَّاها»[٢].

وفي «صحيح» مسلم عن أبي الأسود الدِّيْليِّ[٣] قال: قال لي عِمران بنُ حصين: أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ، ويَكْدَحون فيه، أشيءٌ قُضِي عليهم ومَضَى عليهم من قَدَرِ ما سَبَق، أو فيما يُسْتَقْبَلون به ممَّا أتاهم به نبيُّهم، وثَبَتَتِ الحُجَّةُ عليهم؟ فقلت: بل شيءٌ قُضِي عليهم، ومَضى عليهم. قال: فقال: أفَلا يكونُ ظُلماً؟ قال: ففزِعْتُ من ذلك فَزَعاً شديداً، وقلت: كلُّ شيءٍ خَلْقُ الله ومِلْكُ يَدِه، فلا يُسألُ عمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألون. فقال لي: يرحمُكَ الله! إنِّي لم أُرِدْ بما سألتُك إلَّا لأَحْزِرَ عقلكَ، إنَّ رجلين من مُزَينة أتَيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسولَ الله، أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليومَ ويَكْدَحون فيه، أشيءٌ قُضِيَ عليهم ومضى فيهم مِن قَدرٍ قد سَبَق، أو فيما يُستقبَلون به ممّا أتاهم به نبيُّهم، وثَبتَتِ الحجةُ عليهم؟ فقال: «لا، بل شيءٌ قُضِي عليهم ومَضَى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾»[٤]. والفجورُ والتقوى: مصدران في موضعِ المفعولِ به.

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ هذا جوابُ القَسَم، بمعنى: لقد أفْلَح. قال

---

(١) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٤٨١)، وابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية، وفي إسناده يعقوب بن حميد المدني وهو ضعيف، وعبد الله بن عبد الله الأموي وهو مجهول.

(٢) النكت والعيون ٦/ ٢٨٤، وأخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير عند هذه الآية. قال ابن كثير: وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث، والضحاك لم يلقَ ابن عباس. اهـ. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١١٩١) بإسناد آخر عن ابن عباس به، وفيه ابن لهيعة وهو سيءُ الحفظ.

(٣) في (م): الدؤلي. قال الحافظ في التقريب: الدِّيْلي بكسر المهملة وسكون التحتانية، ويقال: الدُّؤَلي بالضم بعدها همزة مفتوحة، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان.

(٤) صحيح مسلم (٢٦٥٠)، وهو عند أحمد (١٩٩٣٦).

الزجّاج: اللامُ حُذِفَتْ لأنَّ الكلام طال، فصار طولُه عِوضاً منها[١].

وقيل: الجوابُ محذوفٌ، أي: والشمسِ وكذا وكذا لَتُبْعثُنَّ.

الزمخشريُّ: تقديرُه: لَيُدَمْدِمنَّ الله عليهم، أي: على أهلِ مكة، لتكذيبهم رسولَ الله ﷺ، كما دَمْدَم على ثمود؛ لأنهم كذَّبوا صالحاً. وأمَّا «قد أفلح من زكَّاها» فكلامٌ تابعٌ لقوله[٢]: «فألهَمَها فجورَها وتقواها»، على سبيل الاستِطْرادِ، وليس من جواب القَسَمِ في شيء.

وقيل: هو على التقديم والتأخير بغيرِ حذفٍ، والمعنى: قد أَفْلحَ مَن زَكَّاها، وقد خاب مَن دَسَّاها، والشمسِ وضحاها.

﴿أَفۡلَحَ﴾ فاز ﴿مَن زَكَّىٰهَا﴾ أي: مَن زكَّى اللهُ نفسَه بالطاعة ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي: خَسِرتْ نفسٌ دَسَّها الله عزَّ وجلَّ بالمعصية. وقال ابن عباس: خابت نفسٌ أضَلَّها الله وأغْواها[٣].

وقيل: أفلحَ مَن زكَّى نفسَه بطاعة الله وصالحِ الأعمال، وخاب مَن دسَّ نفسَه في المعاصي؛ قاله قتادةُ وغيره[٤].

وأصلُ الزكاة: النموُّ والزيادةُ، ومنه: زكا الزرع: إذا كَثُر رَيْعُه، ومنه تزكيةُ القاضي للشاهد؛ لأنه يرفعُه بالتعديل وذِكْرِ الجميل. وقد تقدَّم هذا المعنى في أوّل سورةِ البقرة مستوفًى[٥].

فمصْطَنِعُ المعروفِ والمبادِرُ إلى أعمال البِرِّ، شَهَر نفسَه ورفعَها. وكانت أجوادُ

---

(١) زاد المسير ٩/ ١٤١ ، ولم نقف على هذا الكلام في معاني القرآن للزجاج، وذكره ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ٢/ ٩٧٨ دون نسبة، ثم قال: والاختيار عندنا أن يكون جواب القسم محذوفاً لبيان معناه، يراد به: والشمس وضحاها لقد سعد أهل الطاعة وشقي أهل المعصية، فدل على المحذوف: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا . وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

(٢) قبلها في (م): لأوله، والمثبت والنسخ الخطية، والكشاف ٤/ ٢٥٩ .

(٣) الوسيط ٤/ ٤٩٧ ، وأخرجه الطبري ٢٤/ ٤٤٥ بلفظ: قد خاب مَن دسَّ الله نَفْسَه فأضلَّه.

(٤) أخرجه عن قتادة بنحوه عبد الرزاق ٢/ ٣٧٦ ، والطبري ٢٤/ ٤٤٤ و٤٤٦ .

(٥) ٢/ ٢٣ .

العربِ تنزلُ الرُّبا وارتفاعَ الأرضِ؛ ليَشْتَهِر مكانُها للمُعْتَفِين[١]، وتُوقِدُ النارَ في الليل للطَّارِقين. وكانت اللئامُ تنزلُ الأَوْلاجَ والأطرافَ والأَهْضامَ[٢]، ليَخْفَى مكانُها عن الطَّالِبين. فأولئك عَلَّوْا أنفسَهم وزَكَّوْها، وهؤلاء أَخْفَوْا أنفسَهم ودَسّوها. وكذا الفاجِرُ أبداً خَفِيُّ المكان، زَمِرُ المروءةِ[٣]، غامِضُ الشَّخصِ، ناكِسُ الرأسِ بركوبِ المعاصي.

وقيل: دسَّاها: أغواها؛ قال:

وأنتَ الذي دَسَّيْتَ عَمْراً فأصبحَتْ حلائلُهُ منه أرامِلَ ضُيَّعا[٤]

قال أهلُ اللغة: والأصل: دسَّسَها، من التدسيس، وهو إخفاءُ الشيءِ في الشيء، فأُبدلتْ سِينُه ياءً، كما يقال: قَصَّيْتُ أظفاري؛ وأصلهُ: قَصَّصْتُ أظفاري. ومثلُه قولهم في تَقَضَّضَ: تَقَضَّى[٥]. وقال ابن الأعرابيِّ: «وقدْ خَابَ من دَسَّاها» أي: دسَّ نفسَه في جملةِ الصالحين وليس منهم[٦].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي: بطُغْيانها، وهو خروجُها عن الحدِّ في

---

(١) المعتفي: الضيف، وكل طالب فضل أو رزق. القاموس (عفو).

(٢) الأولاج: جمع وَلَجة: كهف تستتر فيه المارة من مطر وغيره، ومَعْطِفُ الوادي. والأهضام: جمع هَضْم، وهو المطمئن من الأرض، وبطن الوادي. القاموس (ولج) و(هضم).

(٣) أي: قليل المروءة. القاموس (زمر).

(٤) جمهرة اللغة ٣/ ٢٤٢، وتهذيب اللغة ١٣/ ٤١، والنكت والعيون ٦/ ٢٨٤، واللسان (دسا)، ووقع في التهذيب واللسان: نساؤهم منهم، بدل: حلائله منه. وفي النكت: حلائلهم فيهم. قال صاحب اللسان: عمرو قبيلة. وقال ابن دريد عن البيت: زعم أبو حاتم أنه مصنوع.

(٥) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧، وللزجاج ٥/ ٣٣٢-٣٣٣، وتفسير الغريب لابن قتيبة ص٥٣٠ وتهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١ و١٣/ ٤١، والصحاح (دسا).

(٦) تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١.

العصيان؛ قاله مجاهدٌ وقتادةُ وغيرُهما.

وعن ابن عباس «بِطَغْواها» أي: بعذابها الذي وُعِدَتْ به. قال: وكان اسم العذابِ الذي جاءها: الطَّغْوى؛ لأنه طَغَى عليهم.

وقال محمد بن كعب: «بِطغواها» بأَجْمَعِها[١].

وقيل: هو مصدرٌ، وخرج على هذا المخرج لأنَّه أَشْكَلُ برؤوسِ الآي[٢].

وقيل: الأصلُ: بطَغْياها، إلَّا أنَّ «فَعْلَى» إذا كانت من ذوات الياءِ أُبدِلَتْ في الاسم واواً، لِيُفصَل بينَ الاسمِ والوصف[٣].

وقراءةُ العامَّة بفتح الطَّاء. وقرأ الحسن والجَحْدري وحماد بنُ سلمة بضم الطاء، على أنَّه مصدر كالرُّجْعَى والحُسْنى وشِبْهِهما في المصادر[٤]. وقيل: هما لغتان.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أي: نهض. ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ لعَقْرِ الناقة. واسمُه: قُدَار بنُ سالِف، وقد مضى في «الأعراف»[٥] بيانُ هذا. وهل كان واحداً أو جماعةً. وفي البخاريِّ عن عبد الله بن زَمَعةَ أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يخطُب، وذَكَر الناقةَ والذي عَقَرها، فقال رسول الله ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ انبعث لها رجلٌ عزيزٌ عارِمٌ، منيعٌ في رَهْطِه مثلُ أبي زَمَعةَ» وذَكَر الحديث. خرَّجه مسلم أيضاً[٦].

وروى الضحَّاك عن عليٍّ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال له: «أَتَدْري مَن أشقَى الأوَّلينَ» قلتُ: الله ورسولُه أَعْلَم. قال: «عاقرُ الناقةِ». قال: «أَتَدْري مَن أَشْقَى الآخِرين» قلتُ: الله

---

(١) أخرج هذه الأخبار الطبري ٢٤/ ٤٤٧-٤٤٨ .

(٢) بنحوه في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٦٧ ، وتفسير الطبري ٢٤/ ٤٤٨ ، وقال الفراء: ألا ترى أنه قال: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ١٠] ومعناه: آخر دعائهم.

(٣) يعني: أنهم يقرُّون ياء فَعْلَى بالفتح صفةً نحو: امرأة خَزْيَا وصَدْيا، ويقلبونها في الاسم نحو: تقوى. ينظر معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣ ، والكشاف ٤/ ٢٥٩ ، والدر المصون ١١/ ٢٣ .

(٤) المحتسب ٢/ ٣٦٣ ، والكشاف ٤/ ٢٥٩ ، وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص١٧٤ .

(٥) ٩/ ٢٧٠-٢٧١ .

(٦) صحيح البخاري (٤٩٤٢)، وصحيح مسلم (٢٨٥٥) وهو عند أحمد (١٦٢٢٢)، وسلف ٩/ ٢٧٠ .

ورسولُه أعلم. قال: «قاتِلُكَ»[١].

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني صالحاً ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ «ناقةَ» منصوبٌ على التحذير؛ كقولك: الأسدَ الأسدَ، والصبيَّ الصبيَّ، والحِذارَ الحِذارَ. أي: احذَروا ناقةَ الله، أي: عَقْرَها. وقيل: ذَرُوا ناقةَ الله، كما قال: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣]. ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ أي: ذَرُوها وشِرْبَها. وقد مضى في سورة الشعراء[٢] بيانُه والحمد للهِ. وأيضاً في سورة «اقتربت الساعة»[٣]. فإنَّهم لمَّا اقترحوا الناقةَ، وأخرجها لهم من الصخرة، جعل لهم شِرْبَ يومٍ من بئرهم، ولها شِرب يومٍ مكانَ ذلك، فشقَّ ذلك عليهم. ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ أي: كذَّبوا صالحاً عليه السلامُ في قوله لهم: إنَّكم تُعذَّبونَ إنْ عَقَرْتُموها. ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي: عَقَرَها الأشقى، وأُضيفَ إلى الكلِّ لأنهم رَضُوا بفعله. وقال قتادة: ذُكِرَ لنا أنه لم يعقرها حتى تابَعَه[٤] صغيرُهم وكبيرهم، وذَكَرُهم وأُنْثاهم[٥].

وقال الفرَّاء[٦]: عَقَرَها اثنان، والعربُ تقولُ: هذان أفضلُ الناسِ، وهذان خيرُ الناسِ، وهذه المرأةُ أشْقَى القومِ، فلهذا لم يَقُلْ: أَشْقَياها.

قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: أَهْلَكَهُم وأطْبقَ عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفرُ والتكذيبُ والعَقْر. وروى الضحاكُ عن ابن عباس قال: «دَمْدم

(١) أخرجه أحمد في فضائل الصحابة (٩٥٣)، وروي بإسناد آخر عن علي ﷺ بنحوه عند عبد بن حميد في المنتخب (٩٢)، وأبي يعلى (٥٦٩)، والطبراني في الكبير (١٧٣). وله شاهد من حديث صهيب ﷺ عند أبي يعلى (٤٨٥)، والطبراني في الكبير (٧٣١١). وآخر من حديث جابر بن سمرة ﷺ عند الطبراني في الكبير (٢٠٣٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ١/ ١٣٥ . وثالث من حديث عمار ﷺ عند أحمد (١٨٣٢١). وينظر مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦-١٣٧ .

(٢) عند تفسير الآية (١٥٤) منها.

(٣) عند تفسير الآيتان (٢٧) و(٢٨) منها.

(٤) في (د): بايعه.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٥٠ .

(٦) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٨ .

عليهم»قال: دَمَّر عَلَيْهم ربُّهم بذنبهم[١]، أي: بجُرْمهم. وقال الفرَّاء[٢]: «دَمْدم» أي: أَرْجَفَ.

وحقيقةُ الدَّمْدمةِ: تَضْعيفُ العذابِ وترديدُه. ويقال: دَمَمْتُ[٣] على الشيء، أي: أطْبقْت عليه، ودَمَم[٤] عليه القبرَ: أطْبقَه. وناقةٌ مدمومةٌ: أُلْبِسَها الشَّحمُ. فإذا كرَّرْتَ الإطباقَ قلتَ: دَمْدَمْتُ.

والدمدمةُ: إهلاكٌ باستئصالٍ؛ قاله المؤرِّج[٥]. وفي «الصِّحاح»: ودَمْدَمْتُ الشيءَ: إذا أَلْزقته بالأرضِ وطَحْطَحْته. ودَمْدَمَ الله عليهم، أي: أَهْلَكَهم[٦].

القُشَيرِيُّ: وقيل: دَمْدَمتُ على الميِّتِ الترابَ، أي: سَوَّيْتُ عليه. فقولُه: «فدَمْدَمَ عليهم» أي: أهْلَكهم، فجعلهم تحتَ التراب، «فَسَوَّاها» أي: سَوَّى عليهم الأرضَ. وعلى الأولِ: «فسوَّاها»، أي: فسوَّى الدَّمدمةَ والإهلاكَ عليهم. وذلك أنَّ الصيحةَ أهلكتهم، فأَتتْ على صغيرهم وكبيرهم.

وقال ابن الأنباريِّ: دَمْدَمَ، أي: غَضِب. والدمدمةُ: الكلامُ الذي يزعجُ الرجلَ[٧]. وقال بعض اللغويين: الدمدمةُ: الإدامةُ؛ تقول العربُ: ناقةٌ مُدْمومَةٌ[٨]، أي: سمينة.

وقيل: «فسوَّاها» أي: فسوَّى الأمَّةَ في إنزال العذاب بهم، صغيرهم وكبيرهم، وَضِيعهم وشَريفهم، ذَكَرهم وأُنْثاهم.

---

(١) ذكره البغوي ٤/ ٤٩٤ عن عطاء ومقاتل.

(٢) في معاني القرآن ٣/ ٢٦٩ .

(٣) في (د) و(ظ): دمدمت، والمثبت من كتاب الغريبين للهروي (دمم)، والكلام منه.

(٤) في (د) و(ظ): ودمدم، والمثبت من الغريبين.

(٥) الوسيط ٤/ ٥٠٠ ، وزاد المسير ٩/ ١٤٣ .

(٦) الصحاح (دمدم).

(٧) تهذيب اللغة ١٤/ ٨١ .

(٨) في (د) و(م): مدمدمة.

وقرأ ابن الزُّبير: «فَدهْدَم»[١]، وهما لغتان، كما يقال: امتُقِع لونُه وانْتُقِع.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ۝١٥﴾

أي: فعل الله ذلك بهم غيرَ خائفٍ أنْ تَلْحَقه تَبِعةُ الدَّمدمةِ من أحَدٍ؛ قاله ابنُ عباسٍ والحسن وقتادة ومجاهد[٢]. والهاءُ في «عُقْباها» تَرْجعُ إلى الفعلة، كقوله: «مَن اغْتَسلَ يومَ الجمعة فبها ونعمتْ»[٣] أي: بالفِعْلةِ والخَصْلَة.

وقال السدِّيُّ والضحَّاك والكلبيُّ: ترجع إلى العاقِر، أي: لم يَخَفِ الذي عَقَرها عُقبَى ما صَنَع[٤]. وقاله ابن عباس أيضاً. وفي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، مجازهُ: إذِ انبعث أشقاها ولا يخاف عُقباها[٥].

وقيل: لا يخافُ رسول اللهِ صالحٌ عاقبةَ إهلاكِ قومِه، ولا يخشى ضرراً يعودُ عليه من عذابهم؛ لأنه قد أنذرهم، ونجَّاه الله تعالى حين أهْلَكَهم[٦].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامر: «فلا» بالفاء[٧]، وهو الأجودُ؛ لأنَّه يرجع إلى المعنى الأولِ، أي: فلا يخاف الله عاقبةَ إهلاكهم. الباقون بالواو، وهي أشبهُ بالمعنى الثاني، أي: ولا يخافُ الكافر عاقبةَ ما صنع. ورَوَى ابنُ وَهْبٍ وابنُ القاسم عن مالكٍ قالا: أخرج إلينا مالكٌ مصحفاً لجدِّه، وزعم أنه كتبه في أيامِ عُثمانَ بنِ عفان حين

---

(١) المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٩ .

(٢) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥١-٤٥٢ .

(٣) أخرجه أبو داود (٣٥٤)، والترمذي (٤٩٧)، والنسائي في المجتبى ٣/ ٩٤ من حديث سمرة بن جندب بلفظ: «مَن توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومَن اغتسل فالغسل أفضل» وقد سلف بهذا اللفظ عند تفسير الآية (٨) من سورة الجمعة في المسألة العاشرة.

(٤) تفسير الطبري ٢٤/ ٤٥٢-٤٥٣ عن الضحاك والسدي.

(٥) يعني: وهو لا يخاف عقباها. معاني القرآن للزجاج ٥/ ٣٣٣ .

(٦) النكت والعيون ٦/ ٢٨٥ .

(٧) السبعة ص٦٨٩ ، والتيسير ص٢٢٣ .

كتب المصاحف، وفيه: «ولا يخاف» بالواو[١]. وكذا هي في مصاحفِ أهلِ مكةَ والعراقيين بالواو، واختاره أبو عُبيد وأبو حاتم، اتِّباعاً لمصحفهم.

سورة «والليل»

مَكِّيَّةٌ، وقيل: مَدَنيَّةٌ. وهي إحدى وعشرون آيةً بإجماعٍ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي: يُغَطِّي. ولم يَذْكُر مفعولاً للعِلْم به. فقيل: يَغْشَى النهارَ. وقيل: الأرضَ. وقيل: الخلائقَ. وقيل: يغشى كلَّ شيءٍ بظُلْمتِه. وروى سعيد عن قتادة قال: أولُ ما خَلَق الله النورَ والظُّلْمةَ، ثم مَيَّز بينهما، فجعل الظُّلْمةَ ليلاً أسودَ مُظْلِماً، والنورَ نهاراً مضيئاً مبصراً.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: انكشفَ ووَضحَ وظَهرَ، وبانَ بضوئه عن ظلمةِ الليل.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ قال الحسن: معناه: والذي خَلَقَ الذَّكرَ والأنثى[٢]، فيكون قد أَقْسَم بنَفْسِه عزَّ وجلَّ.

وقيل: معناه: وخَلْقِ الذَّكَرَ والأنثى، فـ«ما» مَصْدَريةٌ على ما تقدَّم[٣]. وأهلُ مكةَ يقولون للرَّعْد: سُبحان ما سَبَّحَتَ له[٤]! فـ«ما» على هذا بمعنى «مَن»، وهو قولُ أبي

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٤/ ١٩٢٩ .

(٢) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٥٨ ، والكلام من النكت والعيون ٦/ ٢٨٦ .

(٣) ينظر ما سلف من هذا الجزء ص٢٩١ و٣١٠ .

(٤) أخرجه الطبري ٢٤/ ٤٥٨ عن أبي عمرو ضمن خبر الحسن السالف.